تاريخ المصاحف العثمانية ودراسة القراءات

د. تاج أفسر *

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد:

فهذه نبذة يسيرة عن تاريخ المصاحف ودراسة القراءات ولا شك فى أهمية الموضوع لعلاقته بكلام الله عزوجل. لقد حاولت أن أقدم تاريخا وجيزا عن المصاحف المشهورة لدى الصحابة-رضى الله عنهم-وبالخصوص مصحف سيدنا أبى بكر الذى أصبح أساسا للمصاحف العثمانية بعدئذ.كما حاولتُ أن أتكلم عن تسبيع القراءات وتعشيرها عند كل من ابن مجاهد وابن الجزرى ثم ذكرت مراحل تدوين القراءات بمر العصور وكر الدهور. فإن كان صوابا فبفضل الله تعالى وبعونه وإن كان غير ذلك فهوأحرى بذلك وأجدر لقلة بضاعة كاتبه. والله أسأل أن يجعله خالصالوجهه الكريم وأن ينفع به ويجعله فى ميزان حسنات كاتبه. وهو ولي التوفيق وبالإجابة جدير.

تعريف علم القراءات

القراءات لغة: القراءات جمع، مفردها قراءة ومادة:(ق،ر،أ)، تدور حول معنى الجمع والضم، والاجتماع.[١] فالقراءة مصدرٍ من قول القائل: قرأت الشئ،إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض. كما يقال:

"ما قرأت هذه الناقة جنينا قط". يراد بذلك إنها لم تضم رحما على ولد. ومعنى قرأت القرآن أي لفظت به مجموعا: أي ألقيته.[٢]

القراءات اصطلاحا: لقدعرف الإمام ابن الجزري القراءات بقوله:"القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[٣]

---

* كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

١- انظر: ابن زكريا أحمد بن فارس، أبو الحسين:معجم مقاييس اللغة: بتحقيق عبدالسلام محمد هارون ط. دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان٥ /٧٩.

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري: لسان العرب، الطبعة الأولي(١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) بتحقيق علي شيري، داراحياء التراث العربي،بيروت، لبنان ٧٨/١١.

وعرف القسطلاني[٤] علم القراءات بأنه:"علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل، والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع".[٥]

ويزاد على ذلك تعريف الشيخ عبدالعظيم الزرقاني:[٦] حيث عرف علم القراءات بقو له "مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات، والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها".[٧]

المقارنة بين التعريفات المذكورة

والحق أنه لابد فى التعريف أن يشتمل على العناصر الثلاثة و هي:

مواضع الاختلاف في القراءات.

النقل الصحيح سواء أكان متواترا أم آحادًا.

حقيقة الاختلاف بين القراءات.

وتعريف ابن الجزري يشتمل على هذه العناصر الثلاثة فيعتبر جامعا ومانعا. وأماتعريف القسطلاني فقد يعتبر شرحا وتفصيلا لتعريف ابن الجزري.

غاية علم القراءات:

"معرفة مايقرأ به كل من أئمة القراء" وقيل: "صيانة القرآن عن التحريف اللفظي".[٨]

موضوع علم القراءات:

كلمات القرأن من حيث يبحث فيه عن أحوالها كالمد والقصر والنقل..."

٤- هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني ، شهاب الدين، مقرئ، محدث، المتوفى سنة ٩٢٣ هـ الزركلي: الأعلام:١/٢٣٢ .

٥- لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق عامر سيد عثمان، وزميله، ط، لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة، ١٣٩٢هـ ١/١٧٠.

٦- هو محمد بن عبدالعظيم الزرقاني المصري من علماء الأزهر المتوفى سنة (١٣٧٦هـ). انظر: الزركلي: الأعلام:٦/١٢٠.

٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ). دارإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ١/٢٨٨.

٨- انظر: التهانوي، إظهار أحمد: أمانيه شرح الشاطبية: قراءات أكاديمي لاهور ، باكستان. ص ٣.

و قيل: اختلاف كلمات الوحي.[٩]

اختلاف الأحرف عند العرب وقت نزول القرآن

لقد ثبت تاريخيا تعدد اللهجات عند العرب إلى غاية أن القبيلة ما كا نت تستطيع أن تنطق وفق ما تنطقه الأخرى. وقدازدادت هذه الصعوبة بسبب العداوة والنفرة بين قبائل العرب. فإليك بعض الكلمات التي تبين ذلك: مثلاً شدّ، ضنّ، فرّ، استعدّ، اطمأنّ كلها مشدد آخرها عند استعمالها بصيغ الأمر وهذا عند بني تميم. بينما يستعمل أهل الحجاز مخففا بفك الإدغام، فيقولون : اشدد، اضنن، افرر، استعدد، اطمأنن.[١٠] وكشكشة ربيعة و مضر الّذين يزيدون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا رأيتكش مكان رأيتك وكسكستهم أي ينطقون في المذكر سينا بعد الكاف كمثل الكلمات المذكووة. وعجعجة قضاعة الذين يبدلون الياء المشددة جيما فيقولون في تميمي، تميميج. واستنطاء سعد وهذيل الذين يبدلون العين الساكنة نونا فيقولون في اعطى، انطى. فهذه مشهورة جدا ذكرها أهل اللغة في كتبهم.[١١] وأهل حمير يبدلون لام التعريف ميما كما ورد في الحديث الشريف أنّ وفدحمير جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وسألوا: أمن امبر امصيام في امسفر و يريدون أمن البر الصيام في السفر فأجاب عليه السلام ليس من امبر امصيام في امسفر. وقد حكى أبو حاتم السجستاني[١٢] في كتابه "الكبير في القراءات" أنه رأي رجلا يقرأ "الّذين آمنوا وعملوا الصالحات طيبي لهم" فقال له: طوبى فقال: طيبي فكان يردده طوبى وهو يردده بطيبي حتى غضب و قال: طوطوطو فقال الأعرابي: طي طي طي.[١٣]

٩- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر،الطبعة الأولى(١٤١٩هـ) دارالكتب العلمية، بيروت لبنان، ص: ٦.

١٠- ابن جني عثمان (٣٩٢هـ) الخصائص، طبع بيروت. تحقيق:محمد على النجار بدون سن الطبع١/٢٥٩_٢٦٠.

١١- ابن جني عثمان (٣٩٢هـ) الخصائص، طبع بيروت. تحقيق:محمد على النجار بدون سن الطبع ٢/١١_١٢.

١٢- هو سهل بن محمد بن عثمان إمام أهل البصرة في القراءات واللغة والعروض توفي ٢٥٠هـ الجزري غاية النهاية في طبقات القراءة ١/٣٢٠.

١٣- ابن جني الخصائص:١/٧٤_٧٥. والآية من سورة الرعد ٢٩.

نزول القرآن على سبعة أحرف

لما بدأ نزول القرآن سأل النبي صلى الله عليه وسلم التخفيف من الله عزوجل بأن تؤذن أمته بأدائه وفق لهجاتهم التي كانوا عليها.فإليك الأحاديث التي تؤيد ذلك:

١- أخرج البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل استزيده[١٤] فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف.[١٥]

وزاد مسلم: قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام.[١٦]

٢- و أخرج البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول الله– عليه الصلاة والسلام – أقرأنيها فكدت أن أعجل إليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته[١٧] بردائه فجئت به رسول الله– عليه الصلاة والسلام –فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان غير ما أقرأتينها فقال رسول الله ارسله يقرأ فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله– عليه السلام – : هكذا أنزلت ثم قال لي: اقرأ فقرأت فقال هكذا انزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه.[١٨]

٣- وأخرج مسلم عن أبيّ بن كعب –رضي الله عنه– قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلوة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فأمرهما

١٤- معناه لم ازل اطلب منه أن يطلب من الله الزيادة في الأحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه سبحانه وتعالى فيزيده حتى انتهى إلى سبعة شرح مسلم للنووي، ص:١/٣٧٣ ط: إسلام آباد.

١٥- صحيح البخاري كتاب فضائل القران، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف مكتبة القاهره مصر، مع شرحه فتح الباري لابن حجر: ١٩/٢٧ – ٢٨.

١٦- صحيح مسلم باب بيان أن القران أنزل على سبعة أحرف١/٢٧٣.

١٧- لببته، بتشديد الباء الأولى معناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجررته به، شرح مسلم للنووي:١/٢٧٣.

١٨- صحيح مسلم باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف: ١/ ٢٧٢ - ٢٧٣.

رسول الله فقرآ فحسَن النبي– عليه الصلاة والسلام – شأنهما فَسُقِطَ في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم – ما قد غشيني ضرب في صدري فَفِضْتُ عرقا وكأنما أنظر إلى الله عزوجل فَرَقًا فقال لي يا أبي: أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن يهون على أمتي فرد إليّ الثانية أن أقرأه على حرفين فرددت إليه أن يهون على امتي فرد إلي الثالثة أن أقرأه على سبعة احرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسالنيها فقلت اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام.(١٩)

ومعنى قول أبي بن كعب –رضى الله عنه- (فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية) إن الشيطان وسوس لي تكذيبا للنبوة أشد عليه مما كنت في الجاهلية لأنه كان في الجاهلية غافلا أو متشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب.قال القاضي عياض رحمه الله تعالى(٢٠): معنى قوله سقط في نفسي أنه اعترته حيرة ودهشة، قال: وقوله: ولا إذ كنت في الجاهلية معناه أن الشيطان نزغ في نفسه تكذيبا لم يعتقده. ثم قال: وهذه الخواطر إذا لم يستمرعليها لا يؤاخذ بها.(٢١)

وقال على بن سلطان القاري الهروي(٢٢): نقلا عن القاموس: سقط وقع بالضم ذل وندم وتحير فعلى رواية الضم، أي البناء للمجهول سقط معناه ندمت من تكذيبي وانكاري قراءتهما ما ندمت مثلها لا في الإسلام ولا إذ كنت في الجاهلية. وعلى رواية الفتح، أي البناء للفاعل معناه أوقع الندم في نفسي من

١٩- صحيح مسلم باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف:١/ ٢٧٢ - ٢٧٣.

٢٠- أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي صاحب كتاب مشارق الأنوار والشفا في بيان حقوق المصطفى. المتوفى ٥٤٤هـ ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب. ٤ /١٣٨.

٢١- شرح النووي على صحيح مسلم طبع إسلام اباد ١/٢٧٣ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

٢٢- هو علي بن سلطان محمد القاري الهروي. فقيه محدث من هرات، أفغانستان وله مصنفات في الحديث والقراءات وأشهرها المسمى بالمرقاة شرح المشكاة توفي ١٠٤٠هـ بمكة المكرمة. خير الدين الزركلي، الأعلام ٥/١٠٦ ط بيروت.

أجل تكذيب قراءتهما ندما لم أندم مثله في حال الإسلام ولا حين كنت في أمور الجاهلية. قال ثم رأيت ابن حجر وافقني وقال أي من أجل تكذيبي.[٢٣]

٤- أخرج مسلم عن أبي بن كعب– رضي الله عنه- أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان عند أضاة بني غفار[٢٤] قال فأتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاء الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلا ثة أحرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما قرؤوا عليه فقد أصابوا.[٢٥] فإن قيل: إن هذه الرواية تخالف الأولى بأنه كان في المرة الثالثة قلنا: إن المراد بالثالثة في الأولى هي الأخيرة وهي الرابعة فسماها ثالثة مجازا أو حملنا على هذا التأويل تصريحه في هذه الرواية أن الأحرف السبعة إنما كانت في المرة الرابعة وهي الأخيرة. ويمكن قد حذف في الرواية أيضا بعض المرات اختصارا.[٢٦]

٥- أخرج الترمذي وصححه عن أبي كعب– رضي الله عنه- أيضا قال: لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوز والكبير والغلام. قال فمرهم فليقرؤوا القرآن على سبعة أحرف.[٢٧] فهذه الأحاديث تدل على أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وهي سبع لهجات على قول الجمهور.

٢٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكوة المصابيح، ط: ملتان باكستان ٥ / ١٨.

٢٤- بفتح الهمزة وبضاد معجمة مقصورة وهي الماء المستنقع كالغدير، جمعها أضا كحصاة حصا. شرح النووي على صحيح مسلم ١/٢٧٣.

٢٥- صحيح مسلم ١/٢٧٣.

٢٦- شرح النووي على صحيح مسلم١/٢٧٣.

٢٧- سنن الترمذي أبواب فضائل القرآن باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ط. وزارة التعليم الفيدرالية إسلام أباد.

معنى نزول القرآن على لغة قريش والجمع بين الروايات

وقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك– رضي الله عنه- أن عثمان امير المومنين قال: للرهط القرشيين عند نسخ المصاحف: إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإنه أنزل بلسانهم ففعلوا[٢٨]. فهذاالقول يثبت خلاف ما أثبتته الأحاديث السابقة فوجه الجمع بينهما أن قريشا انتظمت كثيرا من مختارات ألسنة القبائل العربية التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج وأسواق العرب المشهورة فكان القرشيون يستملحون ما شاؤوا ويصطفون ما راق من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل صوب وحدب. ثم يصقلونه ويهذبونه ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة التي دان جميع العرب لها بالزعامة وعقدوا لها راية الإمامة.[٢٩]

ومن هذا صح أن يقال إنه نزل بلغة قريش لأن لغات العرب تمثلت في لسان القرشيين بهذا المعنى. قال الفراء[٣٠] كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ.[٣١]

وقد قرأ النبي-صلى الله عليه وسلم- بهذه الأحرف وأذن للصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين- أن يقرؤوا بها.

اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته بقراءة القرآن الكريم وبهذه الأحرف

أما قراءته-عليه السلام- فقد أخرج البخاري رحمه الله في صحيحه أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يعرض على جبريل عليه السلام في رمضان كل عام مرة وفي العام الذي قبض فيه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- عارضه مرتين.[٣٢] والمعارضة هي

٢٨- محمد بن إسماعيل البخاري: ٢٥٦هـ الجامع الصحيح كتاب فضائل القرآن مع شرحه فتح الباري:٨/٧ ط القاهرة.

٢٩- محمد عبدالعظيم الزرقاني(١٣٧٦هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط القاهرة:١/١٣٩_١٤٠م.

٣٠- هو أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الملقب بالفرّاء من أئمة اللغة حدث عن ابن عيينة نزيل بغداد، صاحب كتاب معاني القرآن وعلومه المتوفى (٢٠٧هـ) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد، ط: بيروت ١٤/١٥٤.

٣١- ابن جني، عثمان(متوفي ٣٩٢هـ)، الخصائص ٢/١١_١٢.

٣٢- محمد بن إسماعيل البخاري الجامع الصحيح باب علامات النبوة، ٢/٧٤٦.

المفاعلة تقتضي الاشتراك من الجانبين. فالمعارضة مرتين تحتوي على أربع ختمات للقرآن الكريم.

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحفظون القرآن بسماعه منه و يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وهي خصوصية هذه الأمة كما قيل في فضلها "صدورهم أناجيلهم"[٣٣] فقد قتل منهم يوم بئرمعونة سبعون كما قتل يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذاب سبعون منهم وهؤلاء الذين اشتهروا باسم "القراء". أما من مات منهم موتا طبيعيا أواستشهد في مواضع أخرى أو كان يحفظ بعض المصحف فكثير. فمن الصحابة من حفظ سورا من النبي-صلى الله عليه وسلم- تلقينا ومنهم من حفظه من رفيقه ثم عرضه على رسول الله صلى الله عليه و سلم و منهم من حفظ من رفيقه و لم يعرض أو عرض بعض ذلك[٣٤] فقد ذكر الإمام السيوطي في الإتقان عن أبي عبيد القاسم بن سلام[٣٥] أسماء بعضهم. منهم الخلفاء الأربعة، و طلحة، وسعد وابن مسعود، و سالم وأبو هريرة و عبد الله بن السائب و عبدالله بن عباس و عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن زبير رضي الله عنهم. وقد كانوا كثير الاهتمام بقراءة القرأن الكريم في آناء مختلفةوحكاياتهم بقراءة القرأن الكريم وبتعليمه لا يتسع المقام لذكرها.

منها ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالليل حين يدخلون وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلو بالنهار[٣٦]. وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم يمرعلى بيوت الأنصار و يستمع

٣٣- لقد خرج الإمام ابن كثير في تفسيره تحت قوله تعالى: "ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح" (الأعراف:١٥٤) عن قتادة حديثا طويلا وفيه أن الله تعالى مدح هذه الأمة بقوله: صدورهم أناجيلهم. انظر عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، المتوفى ٧٧٤هـ ، تفسير القرآن العظيم طبع كراتشي، ٢/٢٥٤_٢٥٥.

٣٤- انظر: نذر محمد مقري(١٣٦٧هـ)ـ تسهيل البيان في رسم خط القرآن تقديم وتصحيح أبوالحسن أعظمي طبع ديوبند الهند ١٤٠٥هـ، ص ٤١_٤٢.

٣٥- القاسم بن سلام الهروي الخزاعي أبو عبيد من كبار أئمة الحديث واللغة والفقه صاحب كتاب الأموال "المتوفى ٢٢٤هـ انظر بن حجر المتوفى ٨٥٢هـ تهذيب التهذيب طبع مجلس دائره المعارف حيدر آباد الهند ١٣٢٦هـ ٧/٣١٥.

٣٦- صحيح البخاري. باب غزوة خيبر ١٣/١٢٨، رقم ٣٩٠٦.

إلى ندى أصواتهم بالقراءة في بيوتهم كما أخرج الإمام البخارى عن أبي موسى الأشعري أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك، لقد أعطيت مزمارا من مزاميرآل داود[٣٧].

إذن النبى صلى الله عليه و سلم للصحابة بقراءة الأحرف السبعة

و أما إذنه عليه السلام لصحابته فلقد ثبت أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقرأ سورة الفرقان على غير ما قرأها هشام بن حكيم بن حزام فرفعا القضية إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أخبراه بذلك فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأن كل واحد منهما وكما أن أبي بن كعب رضي الله عنه خالف صاحبه في قراءة سورة إذجاء رجل ثالث فقرأ بقراءةٍ تخالف قراءتهما فرفعوا القضية إلى حضرته عليه السلام فحسن شأن هؤلاء و أمرهم أن يقرؤوا كما تعلموا وقد مر بنا الحديث. قال السيوطي عن أبي شامة: أنزل القرأن أولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحا ءثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغا تهم التي جرت عادتهم با ستعما لها[٣٨] وذلك لأجل صعوبته عليهم في الأداء وعدم تعود القبائل بنطق اللغة الواحدة و لشدة عداوتهم بعضهم بعضا .

الكلمات التفسيرية المقروءة أثناء تلاوة القرآن الكريم

ومن الجدير بالذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كمفسر و مبين للقرآن الكريم كان يوضحه في قراءته على وجه التفسير أوعلى و جه الإستنباط و كذلك صحابته رضي الله عنهم. فأطلق عليها قراءات كما على اللهجات و اللغات تجوزا.[٣٩] ومثال ذلك ما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ(حافظوا على

٣٧- رواه البخاري وفي صحيح مسلم بزيادة فقلت لو علمت والله يا رسول الله أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا.

٣٨- السيوطى،جلال الدين (٩١١هـ) الإتقان فى علوم القرآن، المكتبة الأثرية، لاهور، ٤٧/١.

٣٩- جواد على، لهجات العرب قبل الإسلام محاضرة منشورة فى كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، مكتبة النهضة المصرية، ص: ٣١٣.

الصلوات والصلوة الوسطى)صلاة العصر[٤٠] فكلمة العصر تفسيروبيان للصلوة الوسطى.[٤١]

وكقراءة ابن مسعود (و السارق والسارقة فاقطعوا أيمانها)[٤٢] بدل أيديهما. وفصيام ثلاثة أيام متتابعات بزيادة لفظة متتابعات[٤٣] قال أبو حيان الأندلسي بعد أن ذكر قراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه "فوسوس لهما الشيطان مكان فأزلهما"[٤٤] ما يلي: و هذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه فينبغي ان يجعل ذلك على سبيل التفسير و كذا كل ما ورد عن ابن مسعود و غيره مما خالف المصحف.[٤٥] فمن الصحابة من كتب ما سمع من النبي صلى الله عليه و سلم بالفاظ القرآن الكريم و بتفسيراته من ناحية و لكنه سافر إلى البلدان النائية من ناحية أخرى فتسبب هذا لنقصان كثير من الآيات القرآنية في مصحفه. فالموجود في مصحفه كان زائدامن ناحية لكونه تفسيرا أو ما نسخ بعدئذ وكان ناقصا من مصحفه من ناحية أخرى لأنه سافر والقرآن كان يترل.

نماذج من مصاحف الصحابة

هناك مصاحف عدد من الصحابة التي ثبتت فيها الكلماتُ التفسيرية. منها:

١- المصحف ا لمنسوب إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه و كان فيه من سورة الفاتحة (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) (بزيادة غير).

٢- مصحف عائشة رضي الله عنها ومنه قوله تعالى (إنّ الله وملائكته يصلون على النبي والذين يصلون في الصفوف الأولى) باضافة الجملة الأخيرة .

٤٠- البقرة، آية: ٢٨٨.

٤١- الشوكاني محمد بن علي بن محمد(١٢٥٠هـ) فتح القد ير الجا مع بين فني الروا ية والدرا ية من علم التفسير، دار احيا ء التراث العر بي بيروت الطبعة الاو لى ١٤١٨هـ١/٢٨٤.

٤٢- المائدة، آية:٣٨. وانظر:القرطبي(٦٧١هـ) الجا مع لأ حكام القرأن ،مكتبة الغزالى ، بيروت٥/٧٨

٤٣- الطبرى، ابن جرير (٣١٠هـ) جامع البيان عن تأ ويل أي القرأن دار المعر فة بيروت،٤/١٤٨.

٤٤- البقرة، آية: ٣٦.

٤٥- أبو حيان الأندلسى(٧٤٥هـ) البحر المحيط، دار الفكر، بيروت ١/١٦١.

٣- مصحف علي بن أبي طالب رضي الله عنه و كتب فيه (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وآمن المؤمنون) بتكرار "آمن".
٤- مصحف حفصه أم المؤمنين رضى الله عنها .
٥- مصحف عبد الله بن زبير رضي الله عنه .
٦- مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه وأهل الشام وكانوا يقرؤون بذلك.
٧- مصحف عبد الله بن عباس رضي الله عنه .
٨- مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
٩- مصحف أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.[٤٦]

فهذه المصاحف لم تكن موثقة للزيادات التفسيرية واستنباطات النبي صلى الله عليه و سلم و صحابته من ناحية و عدم تكميل الآيات القرآنية منها من ناحية أخرى . فالوثوق فى حفظ الصدور وخاصة فى حفظ من حضر العرضة الأخيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم لا فيماكتبهاالصحابة رضي الله عنهم في مصاحفهم الفردية، وهذا هو سبب اختلاف بعضهم بعضا في القراءات فلاحظها الخليفة الثالث و أدرك الأمة فأحاطها-القراءات- فى المصاحف العثمانية فقط .ولذلك قال الإمام ابن الجزرى:إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب و الصدور لاعلى خط المصاحف والكتب أشرف خصيصة من الله لهذه الأمة.[٤٧]

القراءات فى مصحف أبي بكر رضي الله عنه

لما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي الرفيق الأعلى و استخلف أبوبكر رضى الله عنه بعده و حدث فى عهده ما نبهه إلى وجوب جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد ،خشية عليه من التفرق والضياع . فقد نشبت الحرب بينه و بين اهل الردة من مانعي الزكاة و من أتباع مسيلمة الكذاب المتنبئ و قُتل فيها عدد من قراء الصحابة . فلما وصل هذا الخبر المدينة هال ذلك عمر بن الخطاب فبادر إلى أبى بكر فأخبره الخبر ، و بين له ما حدث و ما يخشى عليه من ضياع القرآن الكريم ، فتردد أبوبكر أولاً لأنه أمر محدث لم تكن له سابقة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. ولكنه بعد نقاش طويل

٤٦- السجستاني عبدالله بن سليمان الأشعث أبوبكر المتوفى ٣١٤هـ كتاب المصاحف تحقيق : محب الدين عبد السبحان، طبع الشئون الإسلامية قطر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م. ١/٣٧٣_٣٨٠
٤٧- ابن الجزرى(٨٣٣هـ) النشر في القراءات العشر، دار الكتاب العربي: ١ /٦.

اقتنع بصواب رأي عمر بن الخطاب و ظهرت له المصلحة فيمايعرض عليه، فأرسل إلى زيد بن ثابت يدعوه لكتابة القرآن الكريم و جمعه فى مصحف واحد .

و قد تم اختياره للأسباب التالية:

أ . كان زيد بن ثابت من أشهر الصحابة إتقانا لحفظ القرآن الكريم .

ب. ضابطا لإعرابه ولغاته .

ج. مداوما لكتابة الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم.

د. شاهدا للعرضة الأخيرة .

و مع كل هذا كان عاقلا ، ورعا، كامل العدالة و مامونا على القرآن.

أخرج الإمام البخاري عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال: أرسل إليّ أبوبكر مقتلَ أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبوبكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحريوم اليمامة بقُراء القرآن و إني أخشى أن يستمر القتل بالقُراء بالمَوَاطن فيذهب كثير من القُرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك و رأيت فى ذلك الذى رأى عمر. قال زيد: قال أبوبكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرنى به من جمع القرآن. قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذى شرح له صدر أبي بكر وعمر ... .(٤٨)

و كما أخرج ابن أبى داود من طريق يحي بن عبدالرحمن بن حاطب قال: قدم عمر فقال من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من القرآن فليأت به . وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والألواح والعُسُب وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهدَ شهيدان على أن ذلك مكتوب كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه

---

٤٨ - صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن رقم٤٦٠٣.

وسلم....[٤٩] قال السخاوى[٥٠]: المراد أنهما يشهدان على أن ذلك مكتوب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يعتمد زيد على الحفظ وحده.[٥١]

ظل هذا المصحف فى رعاية الخليفة الأول أبي بكر مدة خلافته، ثم انتقل بعده إلى رعاية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مدة خلافته ، ثم عند حفصة أم المومنين بنت عمر بعد وفاة أبيها و بقى عندها إلى أن ولي مروان بن الحكم المدينة فطلبه منها فأبت. فلما توفيت حضر جنازتها و طلبه من أخيها عبدالله بن عمر فبعث به إليه .فأمر بإحراقه و قال إنما فعلت هذا لأني خشيت أن طال بالناس زمان أن يرتاب فى هذا المصحف مرتاب.[٥٢]

وهذا كان بعد جمع عثمان المصاحف و إرساله إياها إلى الآفاق و إحراق الأخرى.

والذى ثبت من هذه الروايات أن امير المؤمنين أبوبكر:

١- جرده من الأقوال التفسيرية .
٢- سبب هذا الجمع هو الخوف على ضياع القرآن الكريم .
٣- احتفظ بهذا المصحف و لم يفرض على الناس إشاعته والتزام الناس بقراءته.
٤- أعلن بأن يأتي به كل من عنده شيءٌ من القرآن مكتوبا .
٥- أوجب أن يكون مع حامله شاهدان عادلان، يشهدان بأن هذه الآية قد كتبت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٦- أشرف عليه زيد بن ثابت -رضى الله عنه- و ينظر في الذي جاء به أحد من الصحابة ويقارن بينه و بين ما يحفظه فى صدره و قرئ فى العرضة الأخيرة .
٧- وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يساعده فى هذه الدقة التامة .

٤٩- كتاب المصاحف ١/١٦٨-١٦٩.

٥٠- السخاوى على بن محمد علم الدين المتوفى ٦٤٣ هـ ، إمام فى القراءات والحديث وأصوله من أجل تلامذة الإمام الشاطبى الزركلى الأعلام ٥/١٥٣.

٥١- جمال القراء و كمال ا لإقراء تحقيق د.علي حسين البواب ، ط. مكة المكرمة ١٤٠٨ هـ. ١/٨٦.

٥٢- المرشد الوجيز تحقيق طيار قولاج ط. بيروت ١٤٠٨ هـ. ص ٥٢.

٨- التزم بما قرئ فى العرضة الأخيرة من عدة قراءات كما سبق الكلام عن العرضة الأخيرة.

التزم بالرسم القرآنى الخاص الذى أرشد إليه النبى صلى الله عليه وسلم فى حين وآخر وكان عليه السلام مهتما به. فقد أخرج فى كترالعمال انه-صلى الله عليه وسلم- قال لسيدنا معاوية رضى الله عنه: ألق الدواة و حرف القلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم و حسن الله و مد الرحمن و جود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك[٥٣] وكما يقول زيد ــ وهو يتكلم عن كتابة الوحي ــ فإذا فرغت قال ــالنبى صلى الله عليه وسلم ــ اقرأ فأقرأ فإذا كان فيه سقط أقامه.[٥٤]

القراءات التى تتوقف على أكثر من رسم ، كحذف فى القراءة و إثبات فى الأخرى و الواو فى قراءة والفاء فى الأخرى فلم يتعرض لها زيد بن ثابت رضى الله عنه لعدم الخوف عليها. والصحابة رضى الله عنهم كانوا يقرؤون ويُقرئُون بها فى أقصى البلاد المفتوحة ليعلموا الناس القرآن الكريم والدين فعلم كل واحد منهم أهل مصره على ما كان يقرأ على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم .

ومن ثم اختلف النقل فى التابعين وفى تلاميذهم ، فكثرت القراءات و لم يكن فى البلدان النائية من مصحف كامل يحتوي على جميع القراءات المختلفة يرجع إليه فى اختلاف القراءات وفى اختلاط القرآن بتفاسير النبى صلى الله عليه وسلم وتفاسير الصحابة رضى الله عنهم.

٥٣- على المتقى الهندى (٩٧٥هـ) كتر العمال فى سنن الأقوال والأفعال ط- مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ بيروت. ٣١٤/١٠ .

٥٤- الهيثمي، على بن أبى بكر، نورالدين (ت ٨٠٧هـ)مجمع الزوائدومنبع الفوائد باب ما جاء فى بعثة صلى الله عليه وسلم وعمومها ونزول الوحى ٢٣/٧ ط- دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٨ء.

القراءات فى مصاحف عثمان رضى الله عنه

لما استشهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه و استخلف عثمان رضى الله عنه وكانت المعارك لفتح آرمينيا و آذربا ئيجان[٥٥]، حضر حذيفة بن اليمان فى تلك المعارك و حضر معركة كل منها جند الشام وجند العراق فرأى حذيفة ناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم و أنهم أخذوا القرآن عن المقداد بن أسود ورأى أهل دمشق يزعمون أن قراءتهم خيرٌ من قراءة غيرهم. ورأى أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرؤوا على ابن مسعود وأهل البصرة يقولون مثله و أنهم قرؤوا على أبى موسى الأشعري. فأفزعه ذلك و سار إلى عثمان رضى الله عنه بالمدينة فقال له: يا أمير المؤمنين إنى قد سمعت الناس اختلفوا فى القرآن اختلاف اليهود والنصارى حتى إن الرجل ليقوم فيقول هذه قراءة فلان. فجمع عثمان رضى الله عنه الناس فى المسجد النبوي فقال لهم ماذا ترون؟ فقد بلغنى أن بعضكم يقول إن قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا. قالوا ماذا ترى؟ قال أرى أن أجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون اختلاف، فقالوا نعم الرأي ما رأيت! فأرسل إلى أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها أن أرسلي بالمصحف ننسخها ثم نردها إليك ، فأرسلت إليه و كان هذا فى سنة خمس و عشرين من الهجرة. فأحضر عثمان رضى الله عنه زيد بن ثابت رضى الله عنه و هو من الأنصار و نفرا من قريش و هم: عبد الله بن زبير، عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عمرو بن العاص، و سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. فقال من أكتب الناس؟ قالوا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت. قال فأى الناس أعرب ؟ قال سعيد بن العاص . قال فليمل سعيد وليكتب زيد فكتب زيد.[٥٦]

٥٥- آرمينيا بفتح الهمزة و بسكون الراء و كسر الميم بعدها ياء ساكنة فنون مكسورة ، مدينة عظيمة وهى فى جهة الشمال مشهورة بجمالها و طيب هوائها و كثرة مياهها وشجرها. وآذربائيجان بفتح الهمزة والذال المعجمة و سكون الراء ، بلد من نواحى جبل العراق يلى آرمينيا من جهة غربها ..... المنجد فى الإعلام كرم بستانى وزملاؤه ط- دارالمشرق-بيروت ١٣٨٦هـ ٣٣-٣٩.

٥٦- كنز العمال ٢/٥٨٥ رقم ٤٧٧٩.

عدد المصاحف العثمانية وبعثة القراء إلى الأمصار

اختلف العلماء فى عدد المصاحف التي أرسلها عثمان رضى الله عنه الى الآفاق، على الأقوال: وأصحها كما قال الإمام الداني رحمه الله[٥٧] أنها ستة: البصرى، الكوفى، الشامى، المكى، المدنى العام لأهل المدينة ، المدنى الخاص الذي حبسه لنفسه وهو الذي يُسَمى بالمصحف الإمام. وقيل بأنها كانت خمسة ، فلعله أخرج المصحف الخاص لأن الكلام على ما أرسل منها و لا ريب بأنها كانت خمسة. و لم يكتف عثمان بإرسال المصحف وحده بل وقد أرسل مع كل من هذه المصاحف قارئا يقرئهم موافقا للرسم العثما نى، فعين زيد بن ثابت (٤٥هـ) معلمالأهل المدينة وأرسل عامر بن عبد قيس (٥٥هـ) مع المصحف البصرى وعبد الله بن السائب المخزومى(٧٠هـ) مع المصحف المكي وأبا عبد الرحمن السلمي(٧٤هـ) مع الصحف الكوفي والمغيرة بن شهاب (٩١هـ) مع المصحف الشامى. وقيل بأنها كانت ثمانية فلعله أدخل فيها ما كتبت فى المرحلة الثانية وأرسلت إلى اليمن والبحرين، على كل فالخلاف لفظى.

وقد كان رسم الخط العربى آنذاك خاليا من النقط و الأشكال فاحتوى هذا على عدة وجوه من القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثال ذلك ما نرى فى قوله تعالى: "فتبينوا ..." و هو من البيان. بينما قراءها الإمام حمزة و الكسائى "فتثبتوا "[٥٨]، وهو من الثبت . ولا فرق بين القراءتين من جهة مرسوم الخط إلا فى النقط فقط . و الرسم كان خاليا منه فانطبق الرسم على القراءتين .

وكقوله تعالى : "ننشرها " بالراء ، و"ننشزها " بالزاى [٥٩]. و كقوله تعالى : "وا لعنهم لعناً كبيراً " عند الإمام عاصم ، و"لعناً كثيراً " عند غيره من القراء[٦٠]. إلا

٥٧- الدانى، عثمان بن سعيد أبو عمرو (ت ٤٤٤هـ) المقنع فى رسم مصاحف الأمصار تحقيق محمد الصادق القمحاوى مكتبة الكليات الأزهرية، ص١٢.

٥٨- النساء:٩٤، الحجرات:٦، وانظر تقريب النشر فى القرا ء ات العشر محمد بن الجزرى تحقيق على عبد القدوس مكتبة: دار احياء التراث العربى بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ، ص٢٤٥.

٥٩- البقرة ٢٥٩.

٦٠- الأحزاب ٦٨.

فى مواضع يسيرة التي دارالخلاف فيها من جهة الحذف و الإثبات أو الزيادة والنقص أو إبدال حرف بحرف آخر. فما كان الرسم الواحد يتسع لأكثرمن وجه، وزعه سيدنا عثمان رضى الله عنه على المصاحف العديدة ، فمثلاً قوله تعالى: "ووصّى بها إبراهيم بنيه و يعقوب ..."[٦١]، قرأها الإمام نافع و ابن عامر الشامى بصيغة الإفعال و أوصى فزيدت الهمزة فى المصحف المدنى والشامى وحذفت فى الأخرى[٦٢]، والكلمات من هذا القبيل يصل عددها إلى بضع وأربعين كلمة ذكرها علماء الرسم فى الأمهات من كتبهم.

تحديد القراءات:

ثم ان القراء بعد هؤلاء كثروا وتفرقوا فى البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم عرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم، فمنهم المحكم التلاوة المعروف بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف، وكثر بسبب ذلك الاختلاف، وقل الضبط واتسع الخرق، والتبس الباطل بالحق، فميز جهابذة العلماء ذلك بتصانيفهم، وحرروه وضبطوه فى تآليفهم"[٦٣]

قال الإمام ابن الجزرى: "فكان أول إمام معتبر جمع القراءات فى كتاب، ابو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئا مع هؤلاء السبعة"[٦٤]

والحقيقة أن أبا عبيد كان معاصرا لأئمة القراءة الكبار، ولكنه لم يكن معنيا بالاستقلال بحرف لنفسه ، بقدر ما كان يعنى باستقصاء حروف الأئمة[٦٥].

٦١- البقرة ١٣٢.

٦٢- محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلى ٢٥٢هـ شرح شعله على الشاطبية المسمى كنز المعانى، ميدان العتبة الخضراء مصر الطبعة الأولى، ص:٢٧٧.

٦٣-أبو شامة، (٦٦٥هـ) إبراز المعانى من حرز الأمانى، دار الكتب العلمية، بيروت، ص:٤.

٦٤- النشر: ١/٣٣-٣٤.

٦٥- انظر: محمد الحبش، القراءات المتواترة وأثرها فى الرسم القرانى والأحكام الشرعية: دارالفكر، دمشق، سوريه، ص :٦١.

وكان بعده احمد بن جبير بن محمد الكوفى نزيل انطاكية(٢٥٨هـ) جمع كتابا فى قراءات الخمسة - ثم القاضى اسماعيل بن اسحاق المالكى (٢٨٢هـ) الف كتابا فى القراءات جمع فيه قراءة عشرين اماما, منهم السبعة . ثم الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى(٣١٠هـ) جمع كتابا سماه "الجامع"، فيه نيف وعشرون قراءة- ثم ابو بكر محمد ابن احمد بن عمر الداجوانى (٣٢٤هـ) جمع كتابا فى القراءات وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة.

تحديد القراءات السبع المتواترة:

ثم لما كثر القراء وكثرت الروايات عن الأئمة ، وأوشك ان يدخل الاضطراب فى القراءات, فكر الامام أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادى أن يستخلص قراءات القراء المشهورين بها من اشهر الأمصار الاسلامية التى حملت القراءات عنها- وكان ذلك فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى حيث جمع قراءات القراء السبعة فى كتاب سماه "السبعة"-

قال مكي بن أبي طالب القيسي(٤٣٧هـ)

إن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا فى العصر الثانى والثالث كثيرا فى العدد، كثيرا فى الاختلاف، فأراد الناس فى العصر الرابع ان يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف، على ما يسهل حفظه ، وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة فى النقل، وحسن الدين -- وينطبق قراءته على مصحف ذلك المصر- فكان أبو عمرو من اهـــل البصرة ، وحمزة وعاصم من اهـــل الكوفة وسوادها، والكسائى من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهـــل المدينة و كلهم ممن اشتهرت امامته... وأول من اقتصر على هـــؤلاء أبوبكر بن مجاهد قبل سنة ثلاثمائة أوفى نحوها- وتابعه على ذلك من أتى

بعده إلى الآن"[٦٦] . وبذلك هو يعتبر موسس نظام القراءات السبع الصحيحة من جمع قراءات كاملة ومؤسس أول جامعة للقرآن وقراءاته فى بغداد[٦٧]

والقراء السبعة الذين وقع اختيار ابن مجاهد على قراءاتهم ، هم:

١- عبد الله بن عامر الشامى (١١٨هـ)
٢- عبد الله بن كثير المكي (١٢٠هـ)
٣- عاصم بن أبي النجود الكوفي (١٢٧هـ)
٤- أبو عمرو زبان بن العلاء البصرى (١٥٤هـ)
٥- حمزة بن حبيب الكوفى (١٥٦هـ)
٦- نافع بن عبد الرحمن المدنى (١٦٩هـ)
٧- على بن حمزة الكسائى الكوفى (١٨٩هـ)

ومن الدراسة السابقة يمكن تلخيص تطور القراءات فيما يلي:

١- تكاثر القراءات حتى وصلت إلى نحو خمسين قراءة.
٢- تكاثر القُراء حتى بلغ ألوفا مؤلفة.
٣- تكاثر الاختلاف فى القراءات.

من هنا تصدى ابن مجاهد لمواجهة هذه الاشكالية ، وبعبقرية مشهودة، توصل الى حل لها أجمع المسلمين حتى يومنا هذا على تأييده والاعتراف به، حيث:

١ـ استوعب كل ما وصل اليه من تراث القراءات والقراء.
٢ـ قارن بينها جميعا.
٣ـ وضع أركان القراءة الصحيحة
٤ـ اتخذ الخطوات العملية لطرح الأركان الثلاثة على الرأى العام للحصول على شرعيتها
٥- حدّد القراءات التي ينوي اعتمادها بسبعة.

٦٦- مكى بن أبى طالب القيسى (٤٣٧هـ) الإبانة عن معانى القراءات،دار المامون، دمشق: ص:٦٣-٦٤.
٦٧- انظر: فؤاد سزكين تاريخ التراث العربى،ترجمة:محمود فهمى حجازى، طبع المملكة العربية السعودية، ص:٣٠.

٦- حدّد الامصار التى اختار منها القراء السبعة بقراءاتهم المعتمدة.

٧- حدّد المواصفات التى ينبغى توافرها فى القراء الذين ينوى الاختيار من بينهم

٨- حدّد أسماء القراء السبعة.

تحديد الشروط المعينة فى قبول القراءا ت وردها عند الأئمة:

وقدقام فى نفس القرن، الإمام ابن مجاهد إلى وضع شروط ثلاثة التى اصبحت ضابطا دقيقا فى قبول القراءات وردها عند الأئمة ، وهذه الشروط هى:

١- أن تكون القراءة مطابقة لخط المصحف العثماني-

٢- أن تكون القراءة صحيحة السند، حملها رواة موثقون حتى زمن القارئ-

٣- أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه ما[٦٨] .

يوضح مكى بن أبي طالب القيسى الشروط التالية لقبول القراءات فيقول:

١- أن يكون لها وجه قوى في العربية-

٢- أن تكون موافقة لرسم المصحف العثماني-

٣- أن تجتمع عليه عامة الناس .[٦٩]

وقال الامام أبو شامة (٦٦٥هـ) "ذكر المحققون من أهل العلم بالقراءة ضابطا حسنا فى تمييزما يعتمد عليه من القرءات وما يطرح ، فقالوا:كل قراءة ساعدها خط المصحف مع صحة النقل فيها، ومجيئها على الفصيح من لغة العرب فهى قراءة صحيحة معتبرة ... أشار الى ذلك كلام الأئمة المتقدمين .... وهو الحق الذى لا محيد عنه على تفصيل فيه".[٧٠]

وقد نظم ابن الجزرى(ت ٨٣٣هـ) هذه الشروط فى الأبيات التالية:

فكل ما وافق وجه نحوى وكان للرسم احتمالا يحوى

٦٨- انظر: مقدمه د/شوقى ضيف على كتاب السبعه لابن مجاهد دار الكتب العلمية، بيروت: ص:١٩.

٦٩- انظر: الابانة: ص:٦٥.

٧٠- إبراز المعانى من حرز الأمانى، ص:٥.

وصح إسنادا هو القرآن فـــهذه الثـــلاثـــة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه فى السبعة[٧١]

تطور علم القراء ات من حيث التدوين الى القرن السادس الهجرى:

إن أول من دون القراءات - على وجه التفسير - هم الصحابة- رضى الله عنهم- فى مصاحفهم الفردية الخاصة كمصحف: عمر بن الخطاب، وعلى بن ابى طالب، وعبد الله بن الزبير، وأبى بن كعب، وعبد الله بن عباس،وعبدا لله بن مسعود، ومن أمهات المومنين عائشة وحفصة وأم سلمة. رضي الله عنهم، وعنهن-

ثم لما نسخ عثمان -رضي الله عنه- المصاحف أثبت ما استقر فى العرضة الأخيرة ، وما فى القرآن من قراءات مما احتملها خط المصحف-

وفي النصف الثانى من القرن الأول الهجرى كانت هناك مدارس فى القراءات أنشأها الصحابة والتابعون فى المدينة ومكة و الكوفة والبصرة-ولكنا لا نعرف من المصادر على نحو مباشر أقدم ما دون من هذه القراءات، فليست لدينا سوى بضع إشارات تشير إلى علاقات التلاميذ بشيوخهم - وهناك عبارة ترد كثيرا فى تراجم الرجال، نصها: "أخذ القراءة عنه عرضا"[٧٢] التى تدل على أن التلميذ قرأ النص على شيخه ، ولا نعلم- بالضبط- كيف كان ذلك النص المقروء، ومع هذا ,لنا أن نفترض أنه كان نسخة خاصة مضبوطة بالشكل، مما أدى أحيانا الى التعبير: "له عنه نسخة"

ولكن مع ذلك لا نعرف كتابا مدونا فى القراءات قبل كتاب يحى بن يعمر العدوانى البصرى (قبل سنة ٩٠هـــ)-

قال الامام محمد بن أحمد القرطبى (٦٧١هـــ) - صاحب التفسير المشهور- عنه: الف بواسط كتابا فى القراءات جمع فيه ما روى من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زمانا طويلا، إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه فى

٧١- ابن الجزرى طيبه النشر: الابيات: ١٤-١٦.

٧٢- انظر: غايه النهاية: ٦٠٢/١، الترجمة رقم: ٦٠٣/١،٢٤٥٧، الترجمة رقم: ٢٤٦٣.

القراءات.[٧٣] وقال فواد سزكين: "أن أقدم كتاب نعرفه هو "كتاب فى القراءة "ليحى بن يعمر (ت ٨٩هـ) ثم أبو عبيد القاسم بن سلام(٢٢٤هـ)"-ثم تلاه من جاء بعده، فسلكوا نهجه وساروا على سننه، وكان اولهم:

- أحمد بن جبير بن محمد الكوفى نزيل انطاكية (٢٥٨هـ) جمع كتابا فى القراءات الخمس-
- ثم القاضى إ سماعيل بن اسحاق المالكي(٢٨٢هـ) ألف كتابا فى القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماما منهم السبعة.
- ثم الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠هـ) جمع كتابا سماه "الجامع" فى نيف وعشرين قراءة-
- ثم أبو بكر محمد بن احمد بن عمر الداجوانى (٣٢٤هـ) جمع كتابا فى القراءات وادخل معهم أبا جعفر أحد العشرة-
- وكان فى اثره أبوبكر احمد بن موسى بن مجاهد البغدادى(٣٤٢هـ) أول من اقتصر على قراءات الأئمة السبعة المشهورين- فألف "كتاب السبعة"وبعد تسبيع ابن مجاهد السبعة ، توالت التصانيف فى القراءات السبع-[٧٤]

حتى ألف ابوبكر احمد بن الحسين بن مهران(٣٨١هـ) "الغاية" و "المبسوط" كلاهما فى القراءات العشر(مطبوعان)-

- ثم أبو الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون الحلبى نزيل مصر(٣٨٩هـ) ألف "الإرشاد فى معرفة مذاهب الأئمة السبعة و شرح أصولهم"-
- ثم أبو الحسن طاهر بن ابى الطيب عبد المنعم بن غلبون الحلبى(٣٩٩هـ) ألف "التذكرة فى القراءات الثمان"
- ثم أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعى (٤٠٨هـ) ألف "المنتهى" فى القراءات العشر، جمع فيه ما لم يجمعه أحد قبله.
- ثم أبو عبد الله محمد بن سفيان القيروانى المالكى(٤١٥هـ) ألف "الهادى" فى القراءات السبع (مخطوط)-

---

٧٣- انظر: الجامع لاحكام القرآن الكريم، ٦٣/١، ومقدمة د/عبدا لكريم الزبيدى على كتاب "جمال القراء"للسخاوى: ص:٩.

٧٤- ذكر د/مولاى محمد أهمها-بعد ابن مجاهد إلى الإمام الشاطبي ووصل هذا إلى٣٠ تصنيفا، انظر: مقدمته على كتاب "فتح الوصيد" للسخاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ص:٩٥-٩٩.

- ثم أبو عمر احمد بن عبد الله الطلمنكى الأندلسى نزيل قرطبة (٤٢٩هـ) ألف "الروضة"-
- ثم أبو العباس أحمد بن عمار المهدوى(٤٣٢هـ) ألف "الهداية إلى مذاهب القرّاء السبعة"-
- ثم أبو محمد مكى بن ابى طالب القيسى، القيروانى ، ثم الأندلسى،(٤٣٧هـ) ألف "التبصرة" (مطبوع) و "التذكرة" كلاهما فى القراءات السبع و"الابانة عن معانى القراءات" (مطبوع) و "الكشف"-
- ثم أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى(٤٤٤هـ) الف "التيسير"و "جامع البيان كلاهما فى القراءات السبع(مطبوعان)-
- ثم أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازى(٤٤٦هـ) الذى لم يلحقه أحد في هذا الشأن، ألف "الوجيز"-
- ثم أبو الطاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران الأنصارى الأندلسى ثم المصرى (٤٥٥هـ) ألف "العنوان فى القراءات السبع (مطبوع)-
- ثم أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلى (٤٦٥هـ)ألف "الكامل" جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة و١٤٥٩طريقا-

ثم أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري(٤٧٨هـ) الف "التلخليص فى القراءات الثمان "(مطبوع) و"سوق العروس" فى ١٥٥٠ رواية وطريق-

- ثم أبو علي الحسن بن خلف بن عبد الله بن بليمة القيروانى نزيل الاسكندرية (٥١٤هـ) ألف "تلخيص العبارات بلطيف الإشارات" فى القراءات السبع (مطبوع)-
- ثم أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى بكر عتيق الصقلى المعروف بابن الفحام شيخ الأسكندرية (٥١٦هـ) ألف "التجريد لبغية المريد فى القراءات السبع"
- ثم ابو العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسى الواسطى(٥٦١هـ) ألف "الكفاية الكبرى" و" إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي فى القراءات العشر" (مخطوط)-
- ثم أبو جعفر أحمد بن على بن أحمد بن الباذش الأنصارى الغرناطى (٥٤٠هـ) الف "الإقناع فى القراءات السبع" (مطبوع)-
- ثم ابو محمد عبد الله بن على بن أحمد المعروف بسبط الخياط البغدادى (٥٤١هـ) ألف "المبهج" فى القراءات الثمان و قراءة ابن محيصن والأعمش و اختيار خلف

واليزيدى ، و "الإيجاز" فى القراءات السبع و "إرادة الطالب" فى القرءات العشر و "تبصرة المبتدى" و "الكفاية "فى القراءات الست -

- ثم أبو الكرم المبارک بن الحسن بن أحمد بن على بن فتحان الشهرزورى البغدادى(٥٥٠هـ) ألف "المصباح" فى القراءات العشر-

- ثم أبو القاسم الشاطبي (٥٩٠هـ) ألف "حرز الأ ماني ووجه التهاني فى القراءات السبع "(مطبوع)[٧٥].

وهي قصيدة تحتوى على ١١٧٣ بيتا - فتوجه إليه العلماء بحيث لم يتو جهوا إلى كتاب قبله ولا بعده حتى عرف كأنه لا يوجد غيره وبَدَؤوا يكتبون شروحه وحواشيه، ولا يعرف أهل المدارس إلا القصيدة اللامية فى القراءات للإ مام الشاطبى إلى أن جاء ابن الجزرى وأتمها بثلاثة من القراء وهم أبو جعفر المدنى ويعقوب الحضرمى وخلف العاشر- وبإزاء ما ذكر عن تاريخ التأليف فى القراءات، توالى التأليف منذ عصر التدوين إلى عصرنا هذا، فاتخذ أشكالا وأصنافا متنوعة فمنها ما اختص بالقراءات المفردة، ومنها ما اختص با لقراءات الثلاث، والخمس، والست، والثمان، والعشر، والإحدى عشر، والأربع عشر -

كما أن منها ما اختص بالاحتجاج بهذه القراءات... إلى غير ذلک من أنواع التصنيف، فلم تتوقف مسيرة التأليف في كل ذلک إلى عصرنا الحاضر-

****

٧٥- ابن النديم (٣٨٥هـ) الفهرست، دار المعرفة، بيروت: ص:٥٣ وأمثاله.